Philosophy of History: The Professionalism of the Historian and the Philosophers' Opinions

ASST.PROFF. Alaa Fadhil Al-Ameri, PHD

College of Arts - Al-Mustansiriya University

dr.alaameri80@gmail.com

DOI: 10.31973/aj.v1i138.1188

Abstract:

The researcher tries to trace the sayings of the philosophers of history, explains their importance for both philosophy and history as well as their role in removing the contradiction between them, identifies the historian's need for the philosophy of history in explaining historical events and linking them and searching for the reasons that led to their occurrence, fills the gaps left by the resources related to the topic under study and research, and criticizes the sources in their initial form.

The researcher proposes that the philosophy of history in the historian's works includes all the mental and intellectual processes that the he performs while he is preoccupied in writing about a specific topic and is governed by a specific time and place, that is, everything that includes what the historian himself review about the topic (history).

The analytical philosophy of history is part of the philosophy of history that the historians are interested in, and it is in contrast to what philosophers do in their reflections or what they do while searching for general rules and laws governing the course of human history and the emergence and development of civilization and then its retreat and falling back, or their views on the secrets of the universe and the existence of man and what governs his life on earth. Does it go in an ascending line forward, as indicated by the theory of progress, for example, or the other theories?

The researcher hopes to demonstrate the benefits of the philosophy of history to both the historians and the philosophers and to prove the claim that the philosophy of history is a specific field of thought which stands on its own and at the same time is helpful to the sciences of history and philosophy, which is different from the history of philosophy.

Keywords: philosophy of history, philosophy, history, historian.

فلسفة التاريخ بين حرفة المؤرخ وآراء الفلاسفة

أ.م.د. علاء فاضل العامري
كلية الآداب–الجامعة المستنصرية
dr.alaameri80@gmail.com

(مُلَخَّصُ البَحث)

يحاول البحث الحالي تتبع مقولات فلسفة التاريخ وبيان أهميتها لكل من الفلسفة والتاريخ ودورها في إزالة التناقض بينهما وتحديد حاجة المؤرخ لفلسفة التاريخ في تفسير الأحداث التاريخية وربطها والبحث عن الأسباب التي أدت إلى حدوثها، والإجابة عن الثغرات التي تتركها المصادر في الحادثة قيد البحث والدراسة، فضلاً عن نقد المصادر ونقد مسودته بصورتها الأولية، أي محاولة القول بأن فلسفة التاريخ في عمل المؤرخ تشمل جميع العمليات العقلية والفكرية التي يقوم بها المؤرخ أثناء انغماسه في الكتابة عن موضوع معين محكوم بزمان ومكان معينين وهو كل ما يشمل دخول ذات المؤرخ على المادة أي التاريخ، وهو ما نطلق عليه بالفلسفة التحليلية للتاريخ الجانب الذي يهتم به المؤرخين من فلسفة التاريخ على النقيض من ما يقوم به الفلاسفة في تأملاتهم أو ما يقومون به أثناء بحثهم عن قواعد وقوانين عامة تحكم مسيرة التاريخ البشري ، ونشأة الحضارات وتطورها ومن ثم تراجعها واضمحلالها أو آرائهم حول أسرار الكون ووجود الانسان وما يحكم مسيرته على الأرض. هل تسير وفق خط صاعد إلى الأمام؟ كما تذهب إلى ذلك نظرية التقدم على سبيل المثال أو غيرها من النظريات الأخرى، ويحاول البحث بيان فوائد فلسفة التاريخ لكل من المؤرخ والفيلسوف على حد سواء ، والقول بأن فلسفة التاريخ هي حقل فكري خاص قائم بذاته ومساعد في الوقت ذاته لعلم التاريخ والفلسفة وهو ليس تاريخ الفلسفة.

الكلمات المفتاحية: فلسفة التاريخ، الفلسفة، التاريخ، المؤرخ.

أولا: تقديم:

توافق مع تسنمي رئاسة قسم التاريخ في كلية الآداب عام ٢٠١٧م ، أن الزملاء معاون العميد وأمين مجلس الكلية، ورئيس قسم الفلسفة من الفلاسفة في إحدى جلسات مجلس الكلية طرحوا فكرة أن يتولى تدريس مادة "**فلسفة التاريخ**"، في قسم التاريخ تدريسي من قسم الفلسفة، لأحقية الفلاسفة بتدريس هذا الموضوع حصراً. عندها ثارت ثائرتي، وأتذكر بأني أجبتهم "**تطلبون مني أن أعطي مادة فلسفة التاريخ إلى الفلاسفة، ذلك يعني أنكم تطلبون مني غلق قسم التاريخ ؛ لأن قسم التاريخ قائم على مادتي فلسفة التاريخ، ومنهج البحث التاريخي، وبهاتين المادتين نعلم المؤرخ المبتدئ المعرفة التاريخية، وكيف يفكر منهجياً**

ويفسر الأحداث التاريخية من خلال مصادرها، وكيف يكتب التاريخ وطرائق دراسته، وما عدى ذلك فهي حروب ونزاعات وأحداث أُخرى"، وبعد نقاش طويل حول الموضوع، انتهى الأمر بطلب السيدة العميد تأجيل الموضوع إلى جلسة أُخرى، وعلى كل جهة عرض ما لديها للدفاع عن وجهة نظرها، وعلى الرغم من تراجع الزملاء، وعدم طرح الموضوع مرة أُخرى، لكنني منذ ذلك الوقت أفكر في حسم هذا الأمر والانتهاء منه .

قررت بعدها عقد ندوة علمية بعنوان : "**فلسفة التاريخ بين مهنية المؤرخ وآراء الفلاسفة**" وعلى الرغم من أننا لم نوفق في عقد الندوة بسبب جائحة كورونا، إلا أنَّ تلك الحادثة دفعتني إلى محاولة مشاركة زملائي المؤرخين الموضوع للفت أنظارهم إلى إشكالية الحدود بين كل من المؤرخ والفيلسوف في فلسفة التاريخ، فضلاً عن تكثيف الحوار الفكري على دراسة التاريخ ومنهجه ، وأهميته في عالم ما بعد الحداثة، وما رافقه من تطور علمي وتكنلوجي متسارع.

تتمحور إشكالية الموضوع في سؤال مركب ومفتوح وربما الإجابة عنه غير نهائية **(هل أن فلسفة التاريخ بطبيعتها المعرفية حكر على الفلاسفة ؟ ، وهل ثمة ما يمنع المؤرخين مهنياً ومنهجياً من التفسير "التفلسف" في التاريخ ؟)** . ولتفكيك الإشكالية الماثلة يمكن طرح مجموعة من الأسئلة أهمها: **هل بدأ التاريخ مع ظهور الوعي التاريخي أم قبله ؟ وهل دوّن الأوائل نصوصهم لوعيهم التاريخي أم لحاجة آنية في المجتمع آنذاك؟ وهل بدأ الإنسان القديم بالتفلسف مع ظهور الوعي الفلسفي أم قبله؟ وهل وجد اللاهوت قبل الاثنين؟ وما طبيعة المعرفة التاريخية؟ وهل من حق المؤرخ منهجياً التفلسف وتفسير الأحداث التاريخية؟ وإذا كان الأمر كذلك، ما الحدود بين المؤرخ والفيلسوف في فلسفة التاريخ؟ وإذا سلّمنا جدلاً بأن الفلسفة هي أم العلوم، كما هو معروف وشائع، فهل يصح السؤال بماذا تفلسف الفلاسفة الأوائل وما هي مادتهم؟ وهل كان التاريخ وما زال مادة مهمة للفلسفة؟ وهل ينطبق على التاريخ ما هو شائع عن نشأة العلوم الأخرى من انها كانت مادة للفلسفة؟ وإذا كانت التراكمية واحدة من أبرز صفات العلوم، هل يمكن أن يكون التاريخ شريكاً للفلسفة في تكوينها؟ وهل فعلاً أن المؤرخين عاجزين عن التفلسف؟ كما وصفهم أحد علماء الاجتماع الفرنسيين بأنهم ظرفاء يجيدون جمع الرحيق، ولا يجيدون صنع العسل؟ أم أن منهجهم في الكتابة التاريخية يحول دون ذلك؟ وهل أن منهج البحث التاريخي ثابتاً جامداً أم متغيراً** ؟ سنحاول في بحثنا المتواضع الإجابة عن التساؤلات أعلاه، بهدوء وبعيداً عن التطرف والتشنج، أو المكابرة في بعض الأحيان، أو الانحياز للتخصص، علنا نوفق في لفت الأنظار إلى تلك المشكلة المعرفية والمنهجية.

ما لا خلاف عليه بين الفلاسفة والمفكرين والعلماء، "**ان الفلسفة أم العلوم**". وإن النظريات العلمية نشأت من المجادلة والتفلسف والأسئلة الفلسفية تلك الأسئلة التي جعلت من سقراط حكيماً لطرحه الأسئلة ورغبته في مناقشة أفكاره (واربرتون، ٢٠١٩، صفحة ٢٥)، بعد أن عمل اللاهوت (عبادة مظاهر الطبيعة وغيرها)، والخرافات والأساطير والروايات الشفهية، وما حملته من مبالغات وغيبيات عملها بالمجتمعات الأولى، والتي مع الوقت تحولت إلى مسلمات ماورائية (ميتافيزيقية)، ومعتقدات بات من الخطير جداً محاولة إعادة النظر بها وتغييرها. إلى أن تفلسف المتمردين من الفلاسفة الأوائل، وطرحوا أسئلتهم العقلية حول تلك المسلمات التي تخص الانسان ووجوده والكون الذي يحيط به بإخضاعها إلى العقل والمنطق. ومنذ مقولة سقراط الشهيرة "**اعرف نفسك**" تلك المقولة التي يعتقد الفيلسوف بايجل ورابرتون إنها تلخيص لحياتنا، وتمثل قدرتنا على معرفة الذات، ويؤمن بأن إحدى مهام الفلسفة أن تعرض لنا الوسائل التي تساعدنا في مهمة معرفة ذواتنا (واربرتون، ٢٠١٩، صفحة ١٠)، فكانت النتيجة نشأة العلوم كنتاج طبيعي لتساؤلات الفلاسفة وحواراتهم وبحثهم عن حقائقها. كما يرى افلاطون بقوله: "**إن الفلاسفة هم وحدهم من يفهم حقيقة هذا العالم. انهم يكشفون حقيقة هذا العالم بالتفكير وليس بالاعتماد على حواسهم**" (واربرتون، ٢٠١٩، صفحة ٢٦). ذلك التفكير الذي توصل إلى قوانين وقواعد علمية نتج عنها استقلال علوم قائمة بذاتها انقسمت على علوم طبيعية، وعلوم إنسانية أو اجتماعية.

ثانياً: هل تنطبق نشأة العلوم على التاريخ؟

إن حسم الجدل في نشأة العلوم وتطورها مختلف بالنسبة للتاريخ. والسؤال الأبرز في هذا المجال (**هل استطاع الفلاسفة الوصول إلى قواعد وقوانين ثابتة تحكم حركة التاريخ، وتحوله إلى علم قائم بذاته كما حدث مع العلوم الأخرى؟**) إذا كانت الإجابة سلبية، فهل يعني ذلك أن التاريخ ما زال حالة وسطية بين العلم واللا علم؟ أو بتعبير آخر ربما حالة وسطية بين اللاهوت والفلسفة؟ وكل ما استطاع تحقيقه الذين أدلو بدلوهم في مجال فلسفة التاريخ من الفلاسفة والمؤرخين وغيرهم، كان وما زال عاجزاً عن الوصول إلى قواعد وقوانين تحكم حركة التاريخ ومسيرة التاريخ البشري، أو الإجابة على سؤال كبير ومفتوح هل أن التاريخ يسير بشكل منتظم من البداية إلى نهاية معلومة ومحددة، سينتهي إليها مصير البشرية تحكمها قواعد علمية ثابته كما هو مع العلوم الأخرى، أي كأن نقول في الكيمياء على سبيل المثال أن (H_2SO_4) أي خلط ذرتين هيدروجين مع ذرة كبريت وأربع ذرات أوكسجين نحصل على حامض الكبريتيك، أو واحد زائد واحد يساوي اثنان في الرياضيات ...إلخ، كحقائق علمية ثابته أو نتائج الاستبانة في العلوم الاجتماعية الأخرى، هل يمكن اخضاع التاريخ إلى هذا المنطق أم أن حركة التاريخ وسيرورته عملية عشوائية متغيرة

خاضعة لمتغيرات متعددة ، على الرغم من النظريات المتعددة التي حاولت اخضاع التاريخ وحركته للمنطق أعلاه من الفلاسفة والمؤرخين على حد سواء.

يرى المؤرخ محمد حبيدة أن القرن التاسع عشر هو قرن انفصال العلوم عن الفلسفة بما فيها التاريخ قائلاً "**السياق الابستيمولوجي الذي أفرز التاريخ كعلم من بين علوم إنسانية كثيرة انتظمت خلال القرن التاسع عشر انتظاماً منهجياً معقداً ومتشابكاً، يتعلق بانفصال المعارف عن بعضها البعض علوم الطبيعة وعلوم الانسان، وكانت الموجة الوضعانية في القرن المذكور التي ربطت فهم الواقع بقواعد العلم المبنية على الملاحظة العيانية والتجربة...أي غلب حينها التجريب على التجريد إذ طرأ انتقال من نقاش فلسفي مبني على الافتراض إلى تفحص علمي يسعى إلى تأكيد الأشياء...وبفضل التفحص والتجريب**" حصل كما يرى الطلاق بين الفلسفة والعلم خلال ذلك القرن، وتفككت الفلسفة مثل امبراطورية عظيمة كانت مكونة من أقاليم مختلفة، تفتتت بالتدريج، واستقلت عن النفوذ المركزي، كما ينقل عن الفيلسوف الايطالي باولو باريني (حبيده، ٢٠١٩، الصفحات ٢٠-٢٤).

ما ذهب إليه حبيدة في هذا الشأن ليس بجديد وهو ما ذهب إليه الكثير من المؤرخين والفلاسفة حول علمية التاريخ وأسبقيته مقارنة بالعلوم الاجتماعية. يستعرض الفيلسوف عادل حدجامي أهم التناقضات الفكرية حول هذا الموضوع بالقول : هناك من يرى بأن ربط التاريخ بالفلسفة أمر مشروع ، وتؤمن تلك الفئة بأن العالم سيرورة أي تضفي صفة الاستمرارية على مجرى التاريخ البشري. وإن هناك من يرى أن الفلسفة والتاريخ لا يمكن أن يفهمان إلا على سبيل التضاد، ولا سبيل لإيجاد أي وشيجة بين طرفين على النقيض من بعضهما ، فالتاريخ لا علاقة له بالفلسفة اطلاقاً، وبهذا التصور هناك مدارس يمكن ردها جميعاً إلى الاس الميتافيزيقي الذي يرى أن العالم ساكن ثابت، حتى وان كنا نرى بأن ما يحصل يتغير فإن هذا الذي يتغير ليس هو الأساس ينبغي على النظير أن يرتقي إلى حد النظر إلى الثابت الذي يستحق أن يرى خلف هذا المتغير الذي يتكون ويتحول، وسنرى أن خلف الطبيعة المتحولة ثابت يجب النظر إليه يسميه (أرسطو الجوهر)، فتقصد الفلسفة الكونية العام والكلي والمطلق أي الثابت، أما التاريخ ، فهو رصد لحركات وتحولات محايدة جزئية ظرفية بل لا يمكن حتى أن نرد هذه الحركات إلى وحدة جامعة إلا إذا كانت ثابتة. فعلى الفيلسوف اشغال ذهنه بالثابت والتالي وليس عليه أن يعنى بالتاريخ، كما يرى افلاطون بأن الفيلسوف يجب أن يتعلق نظره بالخالد والساكن والثابت أما ما ينحل ويتحول أي التاريخ فينبغي أن نتركه للعامة (حدجامي، ٢٠١٨).

لكنه بعد ذلك الرأي يقر على لسان هيغل بأن حقيقة الفلسفة نجدها في التاريخ مادة الفلسفة وتحققها والتاريخ لا يعي ذاته إلا مع الفلسفة، فالتاريخ بسط لمطوي وهو الفلسفة والفلسفة طي لمبسوط وهو التاريخ (وهو يتحدث هنا عن الفلسفة والتاريخ ليست فلسفة التاريخ التي تمثل اس العلاقة القوية بين الطرفين)، كذلك ينقل عن الماركسيين بأنه لا يمكن التفلسف خارج التاريخ لأن الفلسفة ايديلوجيا، ولا يمكن تفسير الأيديولوجي بالإيديولوجي.

وعليه فأن ما سبق يدخل التاريخ في منعطف خطير حاول الدكتور محسن الإجابة عنه قائلاً : "**كان على المعنيين الجادين بقضايا التاريخ، والذين يرون ضرورة ديمومة الاهتمام به أن يبحثوا عن حل لإنقاذ هذه المعرفة من براثن النظرة القاصرة تجاهها، وفي محاولتهم عثروا على حلين أحدهما خاص بالمؤرخ، والثاني يكمن في إيجاد نظرة شمولية ودقيقة**" (حسين، طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، ٢٠١٢، صفحة ١٠)، والمأزق بالنسبة للتأريخ والمؤرخ هو جعل علمية التاريخ على المحك، وربما تأييد للمشككين بعلمية التاريخ والذين ينظرون إليه بأنه ليس سوى لون من الوان الآداب الإنسانية، وهذا بدوره يدفعنا إلى القول إن عجز الفلاسفة عن اثبات علمية التاريخ من خلال التوصل إلى قواعد وقوانين علمية ثابته تحكم حركة الكون ربما يعني أن التاريخ ليس بعلم، وما سبق يمكن أن يصح على التاريخ، لكن السؤال الأهم في هذا المنعطف الذي لا يحسد عليه المؤرخين ماذا قصد ابن خلدون فيلسوف التاريخ في تعريفه للتاريخ بأنه ليس سوى **أخبار وأحداث الماضي...في إحدى خصائصه وفي خصائصه الأخرى نظر وتحقيق وتعليل لتلك الأحداث والوقائع** ما هذه الخاصية الثانية وماذا تعني ممارستها؟ يبدو أنها لم تكن واضحة المعالم حتى جاءت المدرسة المنهجية في المانيا بقيادة رانكه وزملاؤه الذين وضعوا منهجية للبحث التاريخي ، وأصبح لقسم التاريخ أساتذة ومريدين أي طلبة وبدأ يدرس وفقاً لقواعد وأصول ثابتة اعتمدت على مبادئ منها الزمكانية واعتماد الوثائق التي ظهرت أهميتها، ودرس التاريخ وفقاً لمنهج صارم لا يسمح للمؤرخ بإبداء رأيه في الأحداث التي يكتب عنها عكس ما ذهب إليه الفلاسفة في تأملاتهم وبحثهم عن ما وراء الأحداث وربطها والبحث عن قوانين عامة تحكم مسيرتها، وهذا الأمر ليس من اهتمامات _على الأقل _ الجيل الأول من المؤرخين الذين قادوا عملية انفصال التاريخ عن الفلسفة مطلع القرن التاسع عشر كما فصله الفلاسفة عن اللاهوت قبل قرن من الزمن (حبيده، ٢٠١٩، صفحة ٢٩).

يكمن السؤال الأبرز والذي يمكن عده إشكالية الموضوع هل يحق للمؤرخين التفلسف في تخصصهم كما في العلوم والموضوعات الأخرى؟ ، بتبني طريقة للبحث وسد الثغرات التي لا تجيب عنها الوثائق في الموضوع قيد البحث، لأن الوثائق مهما كانت أهميتها ودورها فهي لا تستطيع رسم صورة متكاملة لأي حدث، وفي أي عصر دون تدخل المؤرخين

في استنتاجاتهم العقلية في إخراجهم للحادثة التاريخية، ولابد أن يكون ذلك وفقا لنوع العقلية التي يحملونها، وحينما نتحدث عن الجانب العقلي في رسم الأحداث الماضية كأننا نشير إلى الفلسفة أو التفلسف في عملية البحث عن الحقيقة، لكن ليست الحقيقة بمفهومها المطلق كما يذهب إليه الفلاسفة بل حقيقة ما حدث وما جرى في الموضوع قيد البحث والدراسة، بمراعاة ما يمتلكه المؤرخ من وثائق ومصادر حول الموضوع مقيدا بزمان ومكان معينين.

ثالثاً: تفسير حركة التاريخ :

سعى كل من الفلاسفة والمؤرخين منذ القدم لتفسير حركة التاريخ وقدموا نظريات عديدة في محاولتهم لفهم حركة الكون، وبحثهم عن قواعد وقوانين عامة تحكم حركة التاريخ. ومنذ أن رأى سقراط بأن الحكمة ليست معرفة الكثير من الحقائق أو معرفة فعل شيء ما، بل إنها تعني "**فهم الطبيعة الحقيقية لوجودنا**"؟ (واربرتون، ٢٠١٩، صفحة ٢٤)، ومنهم من رأى استحالة ذلك لأن الانسان كائن تاريخي ويدور في فلك حركة التاريخ، وهو جزء منه، لذا من الصعب عليه ادراك الطبيعة الحقيقية لوجوده، في حين رأى آخرون بأن حركة التاريخ هي السبيل الوحيد لتفسير حقيقة وجود الانسان على الأرض ومسيرته، لكن المشكلة في كيفية دراسة تلك المعرفة والوصول إلى حقيقة ملموسة أو قوانين عامة تتحكم فيها سواء من خلال جزئيات المؤرخين أو عموميات الفلاسفة، فضلاً عن ذلك يمكن التقدم خطوة إلى الأمام إذ حصلنا على إجابة عن السؤال هل أن تلك الحركة عشوائية أم منظمة ، تحركها دورات متقطعة غير مترابطة أم أنها تسير باتجاه صاعد إلى الأمام كتطور طبيعي لمسيرة الانسان على الأرض أو لتحقيق وعد أو نتيجة حتمية ؟ .

حيّر التساؤل أعلاه الفلاسفة والمؤرخين، ومحاولة الإجابة عنه سطرت مجموعة من النظريات لسنا بصدد إعادة عرضها ربطت بعضها حركة التاريخ بنشوء الحضارات واضمحلالها وفسر البعض الآخر نشوء تلك الحضارات واضمحلالها بدورة حياة الكائن الحي كمحاولة لجعل المؤرخ طبيباً وفقاً لمنطق العلوم الطبيعية. وربما تمثل نظرية التعاقب الدوري لابن خلدون (البداوة، والتحضر ، والتدهور) وتكرارها بصيغة الفيلسوف الإيطالي جيوفاني باتيستا فيكو (مرحلة الآلهة، ومرحلة الأبطال، ومرحلة البشر)، (ناجي، ٢٠٠٨، صفحة ٥٩)، أمثلة شاخصة عن دورات تاريخية متتابعة بانتظام (نشوء الحضارات وانهيارها)، دون سيرورة أو استمرارية. وربما تمثل نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي القول بأن تلك الحركة عشوائية وهي رد أو استجابة للتحديات التي تواجه البشرية، وتجتمع النظريات الثلاث بأنها لا تَعِد بسعادة أو نهاية حتمية.

أجمع فلاسفة الأديان ومريديها منذ القديس أوغسطين وبوسويه والكتابة التاريخية الكنسية بأن حركة التاريخ هي "**ثمرة للعناية الالهية**" أو "**إن التاريخ مسرحية يكتبها الله (العناية الالهية) ويمثلها الانسان**"، وهو ما كان شائع في تاريخ العصور الوسطى (عبد الجبار ناجي، ٢٠٠٨، ص ص٥٨-٥٩)، وأتفق فلاسفة الإسلام على أن الروح التي تحرك عجلة التاريخ، وتحدد مصائر الشعوب، هي مشيئة الخالق عز وجل "**له في خلقه شؤون**"، وليس لبني البشر قدرة على تغيير تلك المشيئة، ولكن إذا تأملنا في الأمر واستحضرنا السؤال الذي أثير في تراثنا الإسلامي حول هل أن الانسان في هذا الكون مسير أم مخير؟ وفتوى الإمام الصادق (عليه السلام) في الأمر، قائلاً : "**لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين**" (موسسة السبطين العالمية، ٢٠٠٧) نجد أن هناك مجالاً للحركة يميناً وشمالاً داخل تلك المشيئة بما ينسجم مع قوله تعالى : ((ونفس وما سواها فألهمها فجورها وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)) (القرآن الكريم، ٢٠١٤، صفحة ٥٩٥) أو ((وتلك الأمثال نضربها للنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)) (القرآن الكريم، ٢٠١٤، صفحة ٤٤٨)، والسؤال ما الهدف من التفكر أو الهدف الذي يتضمنه مفهوم العبرة في القرآن الكريم؟ يتفق التفسير الديني حول النهاية الحتمية للكون يوم القيامة وإرادة الخالق والسعادة والفلاح لمن زكاها والخيبة والخسران لمن دساها...إلخ أي الوعد بالآخرة قائم والسيرورة وتطور البشرية الصاعد إلى الأمام قائم ايضاً رغم الاختلاف في الجزئيات، وإذا تأملنا فيما سبق يكمن القول بأن النظرية الدينية من الممكن أن تتفق مع نظرية المعرفة وتبتعد عن كونها نظرية مسلمات على الرغم من عدم وجود اتفاق حول الأمر، من خلال استثمار تلك الحركة في الآيات القرآنية أعلاه، وهو ربما عكس ما طرح عن النظرية الدينية في تفسير حركة التاريخ البشري التي تتمحور حول الجبرية.

ترى مثالية هيغل بأن محرك التاريخ شيء مجرد أو قوة تتحرك إلى الأمام، وآثار أقدامها هي أحداث التاريخ، ومادتها هي التاريخ، لكن هذا التاريخ أو هذه الآثار لا يمكن فهمها وفهم ترابطها إلا بعد ردها إلى هذه الروح أو هذا العقل الكلي الذي يتقدم شيء فشيء، طاوياً فيه كل ما نراه ويسير حتى يتحقق في النهاية، وعلى هذا ، فالتاريخ والحجر والبشر والناس والأمم والشعوب والأحداث ما هي إلا خلايا تنشأ وتولد وتحيا وتموت وتنحل وترتبط في جسم واحد لا نعيه لأننا جزءاً منه، يذهب إلى غايته الأخيرة، ويسميه الروح أو العقل الكلي روح مثالية تسير تطور البشرية، وحتماً ستنتهي إلى العدالة والسعادة المنشودة، وربما تكون تلك الروح أو الجوهر المقصود هو الله عز وجل. تتفق الماركسية على الحركة وتحتفظ بفكرة السيرورة والتقدم، لكنها تنفي أن يكون المنفعل هو التاريخ، والفاعل هو الروح المجردة، فالتاريخ حي سيد نفسه أحداث وأفعال ووقائع، ولا يكون العقل والفكر إلا انعكاس لها، لهذا

تسمى الماركسية بأنها مادية، لكنها تتفق مع هيغل بأنها تؤمن بالوصول إلى نهاية أو غاية أخيرة سيتحقق فيها التاريخ (الشيوعية) أو (وعد السعادة وفقاً لكانت) (حدجامي، ٢٠١٨). لكن ماركس ذهب باتجاه صراع الطبقات وجشاعة الروح البشرية التي ستنتهي حتماً إلى سعادة البشرية عندما تصل المادية إلى الذروة بتحقيق الشيوعية، وهي كأنها عودة إلى المشاعة البدائية. على الرغم من النظريات المتعددة في نشوء الحضارات واضمحلالها ومسيرة التاريخ البشري منذ القرن الثامن عشر، كل ما استطاعوا تحقيقه وفقاً لمحمد حبيدة هو فصل التاريخ عن اللاهوت وتحويل موضوعاته من المثل والأخلاق والدين إلى تاريخ الملوك والأباطرة والدول والتاريخ السياسي والثورة الفرنسية مصداق على ذلك (حبيده، ٢٠١٩، صفحة ٢٩) .

تتميز التاريخانية أو النزعة التاريخية "المعرفة التاريخية" عما سبق من النظريات والمذاهب الفكرية التي تحاول تفسير التاريخ، بانها المذهب الذي يرد كل شيء إلى التاريخ بما يتضمنه من أحداث ووقائع، لكنها لا تعد بنهاية سعيدة، أو نهاية تتحد وتتوافق وتتواطئ فيها الأضداد، وبالتالي كل نظرة ترد ما يقع وما يحصل للناس، ويسعى إلى أن لا نفهم أحداث الناس وأفكارهم لا بردها إلى فترات التاريخ التي يحيونها، هي نزعة تاريخانية يصفها عادل حدجامي بأنها هيغلية دون وعد بسعادة تجمع الأضداد في الأخير، لكنه يضيف بأن هذا فقط في التصورات التي تعتقد بربط الفلسفة بالتاريخ (حدجامي، ٢٠١٨).

على المتخصص في التاريخ التمييز بين التاريخية كطريقة لدراسة التاريخ والتاريخانية كمعرفة إذ يميز عبد الله العروي في كتابه مفهوم التاريخ بين "**التاريخية**" و"**التاريخانية**"، ويرى بأن التاريخية هي طريقة للبحث أي منهج البحث التاريخي الصارم، أما الثانية ، فهي التي تقرر حتمية التطور، وإذا اعترفنا أنها توجد بمقدار مختلف في مدارس التاريخ، كأننا نقول ضمنياً ان التاريخية كمنهج بحثي تؤدي حتماً إلى التاريخانية كاتجاه فلسفي، ونستطيع أن نقرر أن التاريخانية هي فلسفة كل مؤرخ يعتقد أن التاريخ هو وحده العامل المؤثر في أحوال البشر، بمعنى أنه وحده سبب وغاية (العروي، ٢٠٠٥، الصفحات ٣٤٨-٣٤٩)، لذا تفرعت التاريخانية على مستوى الاختيار الفلسفي إلى اتجاهين : الأول : تقليدي يتكلم فيه المؤرخ كلام العارف المطلع على أسرار الكون، وهو ما يتفق مع التفسير الديني أعلاه، والثاني : وهو الذي يهمنا "**انسي دنيوي موضوعي**" يقول فيه المؤرخ ما يستطيع أن يقوله مخلوق محدود القدرات كما يرى العروي، لكنه على الرغم من ذلك يرى أن التاريخ شأن موضوعي، لأنه خارج ذات الباحث، والباحث يكون موضوعياً بقدر ما يقدم منطق ما يدرسه على منطقه هو، لذا قيل أن المؤرخ إذا يؤرخ عليه أن يتعمد عدم الانتماء.

يفرق العروي على مستوى المنهج بين رانكه الذي يعده تاريخانياً وفوستل الذي ينعته بالوضعاني وأكتن الذي ينعته بالليبرالي الذين يصفهم بأعلام التاريخ النقدي الاحترافي، لكنه يرى بأنهم جميعاً على اختلاف مدارسهم يهتمون بالجزئيات، ويخضعون لمنطق الحقبة المدروسة ويتحاشون الأحكام الشخصية أثناء البحث، ويعترفون بحدود المعرفة التاريخية في إطارها البشري. ويتساءل أين توجد نقطة الاختلاف بينهم ويجيب بالمغزى والقصد، فالتاريخاني هو من يدعي أنه يدرك مباشرةً غاية التاريخ في عملية ذهنية تشبه الكشف في حين أن الوضعاني لا يفترض أي مغزى، ويقول إن هدف التاريخ هو معرفة التاريخ فقط، أما الليبرالي ، فهو مؤمن أن موضوعيته، أثناء البحث لا تمنعه في آخر المطاف من إصدار حكم أخلاقي على حوادث الماضي، ويرى بأن المؤرخين المحترفين أجمعوا على الجانب المنهجي من التاريخانية، بحيث لا يتصورون عملاً تاريخياً حقيقياً إلا في اطار ذلك المنهج، فالبحث الذي يقوم به المؤرخ المحترف يبقى على دقته وتقنيته، بعيداً عن كينونة الانسان ؛ لأنه يدرس التاريخ كموضوع، كجسد جامد. وهذا هو المكسب المجمع عليه فيما سمي بثورة النزعة التاريخية، لكن التاريخاني يرى ويؤكد: أن هذه خطوة أولى فقط، يجب أن تتبعها خطوة ثانية، وإلا بقيت عقيمة، أي بعد وصف التاريخ كمادة يأتي دور التضمين، أي الادراك الكشف عن المغزى، وتحويل البراني إلى جواني حتى يصبح المدروس جزءاً من ذات الدارس، وإلا ما كان إدراك ولا تاريخ، وإنما مجرد تصنيف للماديات. والفهم لا يتم إلا في إطار تلك العملية المتواصلة التي تمكن البشرية من تعميق وعيها بنفسها ؛ لأن المعنى الذي يجب إدراكه هو في الحقيقة حاضراً مسبقاً، باعتبار أن ذهن المؤرخ، ليس سوى محصلة كل التطورات التاريخية (العروي، ٢٠٠٥، الصفحات ٣٤٩-٣٦٠).

يستطيع المؤرخ في أن يربط الأحداث فيما بينها، وأن يتمثل كل حدث على حدة، ويرى أن ما يجري في ذهن المؤرخ على غير صورته الحقيقية، إذ تغفل النقطة الجوهرية، وهي أن التاريخ لا يكون تاريخاً إلا بعد أن يحال إلى مفهوم، والمفهوم في ذهن المؤرخ، شان خارجي ذاتي في آن سلسلة أحداث مترابطة وكلها حاضرة، فيستطيع الذهن أن يميز كل حدث كحلقة ضمن سلسلة، إذ لم يتحقق التمثل على هذه الصورة لا يكون تاريخ، وإنما وصف لأشياء متناثرة، أي علم موضوعي للماديات. (وهو ما يوضح كيف ساعدت التاريخانية في نشأة العلوم الاجتماعية الأخرى، بالكشف عن التاريخ كموضوع ونسق، فالعلوم الاجتماعية تصف وتصنف لإظهار التواتر، وبذلك تنشأ المقارنات ذات البعد التاريخي للموضوع قيد الدراسة، وتمهد الطريق لتلمس مستوى ونوع التغيير الحاصل وتحقق الإنجاز (العروي، ٢٠٠٥، الصفحات ٣٤٩-٣٦٠).

ومما سبق يمكن القول بأن التاريخانية ليست إحدى الفلسفات التأملية التي تبحث عن العموميات، وحتى وان كان ذلك على حساب التاريخ، وتشويه المعرفة التاريخية بل هي منطق التاريخ، إذ يعي نفسه مرحلة تتوج مراحل سابقة، متسلسلة مكسب يغني مكاسب أخرى مثل إبداع الرموز واختراع الحروف، وتسجيل الأخبار، والنظر فيها واستخلاص العبرة منها ، أي أما اعتبار التاريخ كمفهوم الواعي بذلك وهو التاريخانية أو الاكتفاء بالوصف دون الاهتمام بالمغزى وهو ما يدفع إلى السؤال **أين مغزى التاريخ وعبره إن لم تكن داخل التاريخ؟** (العروي، ٢٠٠٥، الصفحات ٣٤٩-٣٦٠) .

رابعاً: نشأة التاريخ كمعرفة مستقلة:

ظهرت عدداً من المدارس والرؤى والأفكار حول منهج البحث التاريخي منها التاريخ المنهجي أو التاريخ بالعهد وفقاً للعروي و(التاريخ الرانكي نسبة لرانكه ووفقاً لمحمد حبيدة) في المانيا في الربع الأول من القرن التاسع عشر، ومدرسة السوربون أو الوضعانية، ومدرسة استراسبورغ أو الحوليات في فرنسا، ومدارس عديدة أخرى لسنا بصدد دراستها قدر تعلق الأمر بالإجابة على التساؤلات التي طرحناها أعلاه. إذ كان هناك ثمة من يرى بأن القرن الثامن عشر عصر الفلسفة التي حررت التاريخ من قبضة اللاهوت، والتي تنطلق من العام لفهم الخاص، فإن القرن التاسع عشر هو قرن التاريخ، إذ نشأ البحث التاريخي، وتخلص من المطارحات الفلسفية، وكانت المانيا قد لعبت دوراً رئيساً في نشأة التاريخ كحقل معرفي يحتوي قواعد معلومة (حبيده، ٢٠١٩، صفحة ٥١) .

كانت البداية مع هامبولد الذي دعا إلى الفصل بين عمل المؤرخ وعمل الفيلسوف لأن فهم التاريخ من منظوره، لا يرتبط بالتجريد بل بالتجريب، وحث على فهم الحقبة التاريخية في وقائعها وليس غايتها. سار على دربه عدداً من المؤرخين الألمان، وفي الربع الأول من القرن التاسع عشر، كان في مقدمتهم رانكه ومنهجه الذي ظهر خلال عشرينيات القرن التاسع عشر، إذ اختلف رانكة اختلافاً صريحاً مع مؤرخي القرن الثامن عشر الذين تناولوا التاريخ انطلاقاً من آليات تطور الحضارة في شخص العلوم والفنون أي بالتركيز على العموميات، وأكد على ضرورة الاهتمام بالتاريخ السياسي وبطريقته التي زاوجت بين بلاغة السرد وسلاسته ، ودقة السند وكثافته، كان خطاب رانكه موجها للفلاسفة. وبعد اصدار كتابه (تأريخ الأمم اللاتينية والجرمانية) عام ١٨٢٤، الذي حصل بفضله على مقعد بجامعة برلين عام ١٨٢٥، ذلك الكتاب الذي عبر فيه عن تصوره للتاريخ ، يرى فيه أن كتابة التاريخ تمر عبر الملاحظة العلمية القائمة على السند الوثائقي، والفهم الموضوعي. ويمكن عرض منهج رانكة من خلال خمسة قواعد كانت ولازالت من أهم أسس منهج البحث التاريخي هي: (التحقق من الوثائق وتحليلها ونقدها، والتحقق من الأحداث وعرضها بطريقة كرونولوجية،

واجتناب الحكم على الماضي والاقتصار على وصف الواقعة التاريخية كما هي، ونفي العلاقة بين الذات أي المؤرخ وموضوع المعرفة أي الواقعة التاريخية، والتأكيد على مبدأ أن التاريخ موجود لذاته موضوعياً من دون استصدار أحكام واستخلاص عبر) وربما هذه الأخيرة التي تتعلق بطبيعة بحثنا، كانت ولازالت محط نزاع وجدل كبير بين المؤرخين ومدارسهم التاريخية من جهة والفلاسفة من جهة أخرى؛ ففي هذا القرن انتقل ادراك الماضي من الانطباع الشخصي، والحكم المسبق، إلى التنقيب في الأرشيف والطرح الموضوعي، وفي ذلك القرن تمهن التاريخ ، أي صار مهنة وارتبط بدروس الأساتذة (حبيده، ٢٠١٩، الصفحات ٢٩-٣٧).

تُعد مدرسة السوربون أو المدرسة الوضعانية (لم تكن صفة وضعاني متداولة في أوساط المؤرخين حتى نهاية القرن التاسع عشر لكن مؤرخي مدرسة الحوليات أطلقوه على أنصار التاريخ المنهجي على الرغم من أن البعض يفضلون الوثائقيين أو السوربوناريين نسبة لجامعة السوربون)، وهي وليدة تزاوج بين الحدس الارشيفي الوطني والانموذج العلمي الألماني أو التاريخ المنهجي سابق الذكر على النحو الذي وضع أسسه رانكة وأبرزهم شارل سينيوبوس وفوستل دوكلانج ؛ وذلك لأن الدولة المركزية الفرنسية في عهد نابليون الأول كانت قد اهتمت بالوثائق ونظمتها تنظيماً مؤسساتياً ووضعتها تحت تصرف المؤرخين. ويسجل المتتبع لتجربة التاريخ الوضعاني ارتباطاً وثيقاً بين كتابة التاريخ السياسي وتمجيد التاريخ الوطني في ظل تنامي الحس القومي والصراع بين الأمم خلال القرن التاسع عشر، وقد استمر التوجه الوضعاني حتى منتصف القرن العشرين (حبيده، ٢٠١٩، صفحة ٥٤).

يرى المؤرخ محمد حبيده بأنه إذا كان التاريخ الرانكي قد نشأ كعلم في مواجهة الفلسفة في بداية القرن التاسع عشر، وانتهج منهج رانكه الصارم والتاريخ الوضعاني في فرنسا، فإن الحوار بين علم الاجتماع الدوركايمي نسبة إلى دوركايم والتاريخ الذي برز في نهاية ذلك القرن في فرنسا كان لا يخلوا من استفزاز مع المؤرخين الوضعانيين وفي مقدمتهم شارل سينيوبوس وفوستل دوكلانج انتج أهم مدرسة في الكتابة التاريخية ، وهي مدرسة الحوليات الفرنسية التي مثلت التحول الأهم في منهج البحث التاريخي وكتابة التاريخ وتحوله للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والتاريخ الطويل كنتيجة لتفاعله مع العلوم الاجتماعية التي بدأت بالظهور في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والتي يعتقد أنها كانت جزءاً من التاريخ وفي مقدمتها علم الاجتماع (حبيده، ٢٠١٩، صفحة ٥٤).

كانت أهم النقاشات ما تحدث به فرونسوا سيمياند الذي حاول تلمس الفرق بين التاريخ وعلم الاجتماع ووجد بأن الفرق يكمن في عملية بلورة المعطيات ضمن نسق كلي، وأسلوب معالجتها لتشكل علماً قائماً بذاته، وانتقد المنهج المتبع لدى المؤرخين الوضعانيين بما أسماه

بالمعبودات الثلاث للمؤرخين في تلك المرحلة التاريخ السياسي والتاريخ الفردي والتسلسل الكرونولوجي للأحداث، واقترح مقابل ذلك تاريخاً اشكالياً تفسيرياً، يبحث في الجماعات والظواهر الاجتماعية والمؤسسات، وتنبأ بجيل جديد من المؤرخين لتلك النزعة التاريخية أو التاريخانية واتفق حول هذا الموضوع ايميل دوركايم في العدد الأول من المجلة السوسيولوجية ١٨٩٦، التي واضب على قراءتها جيل كامل من المؤرخين الشباب مطلع القرن العشرين الذين حملوا على عاتقهم تجديد المعرفة التاريخية وقد كتب "**لا يمكن للتاريخ أن يصير علماً إلا إذا فسر، ولا يمكن للعلم أن يفسر إلا إذا قارن... والحال أن التاريخ إذا قارن لن يختلف عن علم الاجتماع**" وهو ما اتفق حوله المؤرخ فوستل دوكلانج صاحب أول كرسي للتاريخ الوسيط بجامعة السوربون الذي ردد مراراً "إن السيسيولوجيا الحقيقية هي تاريخ" وهو ما اتفق حوله دوركايم شريطة أن يكتب التاريخ بطريقة سوسيولوجية (حبيده، ٢٠١٩، الصفحات ٥٤-٥٦).

يرى المهتمون بالتدافع الذي حصل بين التاريخ وعلم الاجتماع بأن علم الاجتماع بقي في مطلع القرن العشرين محدود الانتشار في الأوساط الاكاديمية ؛ وذلك لأن المتخصصين فيه ضلوا محدودين مقارنة بالمؤرخين، لكنه استطاع فرض وجوده على الساحة الجامعية على حساب التاريخ، وتصدى لهيمنة المؤرخين على كليات الآداب، ويعزى ذلك إلى التصور التاريخي المشيد على تسلسل الأحداث السياسية والدبلوماسية والعسكرية، الذي يُعد تصوراً مفصولاً عن الواقع مقارنة بعلم الاجتماع، الذي اهتم بشكل أكبر بالمجتمعات الإنسانية. وهو ما أثمر على حد تعبير المورخ محمد حبيدة في "**فعفعة يقين المدرسة الوضعانية وتحفيز الباحثين في التاريخ، لاسيما الشباب منهم لإعادة صياغة تصوراتهم واستشكال موضوعاتهم وتنويع مصادر معطياتهم، على النحو الذي استبدلت فيه ما وصفها الممارسة التجريبية الضعيفة فكرياً بمنهج فكري ونقدي**" (حبيده، ٢٠١٩، الصفحات ٥٨-٦٢)، وهو مؤشر لتطور المعرفة التاريخية واندفاعها باتجاه تفسير التاريخ، عبر عنه الفيلسوف هنري بير حينما أكد على أهمية التركيب في فهم التاريخ وكتابته ، وذلك بتجاوز التفاصيل، والاجتهاد في توليد الأفكار لتفسير الماضي، وميّز بين فلسفة التاريخ من منظور الفلاسفة والتركيب التاريخي المرتبط بالفلسفة التحليلية للتاريخ وربط مستقبل الفلسفة بالاستناد إلى التاريخ (حبيده، ٢٠١٩، صفحة ٧٠) وظهر تأثير هنري بير وايميل دوركايم على مارك بلوك أبرز مؤرخي مدرسة الحوليات الفكري، حينما ركز على ثلاث قضايا مركزية في العمل التاريخي وهي (السؤال لاستنطاق الوثائق، والتركيب لتجاوز التفاصيل وتوليد الأفكار والمقارنة لتجاوز التوصيف وبلوغ درجة التفسير) استتبع ذلك بخطوات أخرى، أهمها في هذا المجال ما سمي بتاريخ الزمن الطويل أو البروديلي نسبة إلى فيرنان بروديل الذي يتناول

موضوع معين يمتد لمدة طويلة، ذلك المنعطف الخطير في الكتابة التاريخية الذي يعتمد المقارنة والتفسير، لاسيّما في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي للمجتمعات الانسانية الذي يتجاوز الحقب (حبيده، ٢٠١٩، الصفحات ٧٠-٩٢)، وهو ما دفع تلميذه جاك لوغوف إلى تأليف كتاب في صميم المعرفة التاريخية وهو عبارة عن سؤال "**هل يجب حقاً تقطيع التاريخ إلى شرائح؟**". ذلك الكتاب الذي ألهم مترجمه المؤرخ الهادي التيمومي ودفعه للقول: "**اعتدنا تقطيع التاريخ إلى شرائح سميناها "عصوراً" و"حقباً" و"مراحل"...إلخ. وهذا التقطيع جزء التاريخ ورسم حدوداً زمنية تناقلتها الكتب، واعتمدها التعليم، فرسخت في الأذهان، حواجز بين أزمنة، هي في الواقع التاريخي متواصلة ومتداخلة. هكذا اعتدنا حشر الظواهر الاجتماعية والسياسية والثقافية في مقاطع زمنية ضيقة، كتلك التي تطابق عمر الدول، مثلاً. هذا في حين أن هذه الظواهر لها امتداداتها، قبلاً وبعد، فلا تفهم ولا تفسر إلا في امتداد زمني أطول**"، وهو ما يوازي دعوة لفتح الباب على مصراعيه في تفسير التاريخ واختزال مراحل تاريخية طويلة بعمليات رياضية ذهنية. وللدفاع عن الفكرة أعلاه يقول: لوغوف "**يبدو التاريخ اولاً -على غرار الزمن الذي هو مادته -وكأنه مستمر، بيد انه خاضع كذلك لتغيرات... [**ويردف**] إن تقسيم الزمن إلى حقب ضروري للتاريخ، سواء اعتبرناه بمعنى عام دراسة لتطور المجتمعات، أو مخصوصاً من المعرفة والتعليم، أو كذلك محض انسياب للزمن. بيد أن هذا التقسيم ليس مجرد مسألة كرونولوجية..بل ويعبر ايضاً عن موقف انكار بإزاء المجتمع، وقيم الحقبة السابقة، فللحقب تبعاً لذلك معنى خاص، في تعاقبها ذاته وفي استمراريتها الزمنية، أو على العكس من ذلك في الانقطاعات التي تتخلل هذا التعاقب، فهي جميعاً تمثل بالنسبة إلى المؤرخ موضوع تفكير أساسي**" (لوغوف، ٢٠١٨، صفحة ٧، ١٢)، وكمثال على ذلك يقول لوغوف "**الرأي عندي، كما أفصحت عنه، ان النهضة التي اعتبرها التاريخ المعاصر مخصوصة، ليست في الواقع سوى آخر حقبة فرعية من عصر وسيط مديد**"، ويرى بأن التحقيب يستمد شرعيته مما يجعل التاريخ علماً، ولا شك ويضيف بأنه "**ليس بالعلم الصحيح**" (كما العلوم الطبيعية)، بل هو علم اجتماعي يعتمد على قواعد موضوعية تسمى المصادر بيد أن التاريخ الذي تقترحه علينا هذه المصادر يتحرك ويتطور. إنه تاريخ مسير المجتمعات في الزمن، وكما يقول مارك بلوك. "**إن الزمن جزء من التاريخ، والمؤرخ مطالب بالتحكم في الزمن..** [ويضيف] قيل إن الأمد الطويل الذي أدخله بروديل فرض نفسه لدى المؤرخين، ويشوش الحقب أو بالأحرى يلغيها. ويعبر عن رأيه قائلاً : "**إن هذا التقابل ليس تناقضاً في رأيي، إذ يوجد في صلب الأمد الطويل متسع للحقب. إن التحكم في موضوع حيوي، فكري ومادي مثل التاريخ، يتطلب في تقديري المزج بين الاستمرار والانقطاع، وهو ما يوفره الأمد الطويل المقرون بالتحقيب**". (لوغوف،

٢٠١٨، الصفحات ١٣٧-١٣٨). وهو ما يشير إلى أنه على الرغم مما سبق، وما حققه منهج البحث التاريخي من تطورات باتجاه تفسير التاريخ أو تفسير الأحداث التاريخية وربطها، ويجب التأكيد على أن هذه الديناميكية لم تحجب المكتسبات التي حققتها المدرسة الوضعانية، خاصة موضوع الاحالات والموضوعية والفصل بين العمل الأكاديمي والعمل السياسي (حبيده، ٢٠١٩، الصفحات ٧٠-٩٢).

خاض لوسيان فيفر معارك كبيرة في وجه المدرسة الوضعانية من أجل مد الجسور مع مختلف العلوم الاجتماعية وتجاوز التاريخ التقليدي السياسي والدبلوماسي ولعل أهم زاوية انطلق منها هي المنهج ، فإذا كان أساتذة السوربون قد ركزوا وفقاً لعبارة شارل فيكتور لونغلو وشارل سينيوبوس "**لا تاريخ بدون وثائق**" في محاولة لإضفاء صفة العلم على التاريخ ، فإن أستاذ استراسبورغ شدد على عبارة مغايرة تماماً، وهي "**لا تاريخ بدون أسئلة**". فقد جعل لوسيان فيفر من السؤال "مبتدأ التاريخ ومنتهاه" ومن العلم التاريخي "دراسة منجزة بطريقة علمية" أي ليس وصفاً للأحداث فقط بل أن يخضع العلم التاريخي لطرح الأسئلة وصياغة الفرضيات "الإشكالية"، الفرضية والنظرية ايضاً بوصفها بناءً عقلياً مساعداً على الفهم، هي التي تمكن من تفسير الوقائع والظواهر. ويدل الاهتمام بالفرضية في بناء الموضوع التاريخي على مدى انسجام مؤرخي الحوليات مع أفكار العلماء والفلاسفة الذين جددوا في بداية القرن العشرين مسألة العلاقة بين الذات وموضوع المعرفة، لاسيّما ما أظهره العالم الفرنسي هنري بونكاري في كتابه العلم والفرضية والفيلسوف البولندي إميل ميارسون، ومعنى ذلك أن استشكال المواضيع هو الذي جعل حقل التاريخ عريضاً وعميقاً ويمكن من جمع خيوط الفعل البشري من جوانبه كافة (حبيده، ٢٠١٩، صفحة ٨٥).

ويبدو أن النقد الموجه للمدرسة الوضعانية والتركيز على التاريخ الوثائقي الرسمي لم يقتصر على مؤرخي مدرسة الحوليات الفرنسية، إذ إن هناك من يرى بـ"لا انسانية التاريخ" وإن ذلك التاريخ ليس أرض حياد بعيدة، بل هو موضوع نزاع وهيمنة. وأنه طالما صودرت تواريخ شعوب مستعمرة وحجبت، خدمة لأهداف استعمارية تدعمها فلسفة غربية، لذلك هناك من يوجه نقد لاذع لفلسفة التاريخ الهيغلي للتاريخ العالمي فيه رفضٌ لاختزال مسار التاريخ البشري على قياس الدول والامبراطوريات العظمى، وهو حث المؤرخين للذهاب أبعد من التاريخ العالمي المركزي الأوربي، وأن يتعلموا من الأدب والانثروبولوجيا والفنون كيف يضمنون سردياتهم عن أنواع ماضي تلك الشعوب التي توصف بأن لا تاريخ لها كما يرى راناجيت غها (Ranajit Guha) المؤرخ الماركسي النقدي الهندي الذي تركت كتاباته التاريخية الأثر الكبير في البحث المعاصر في العديد من الفروع العلمية على مستوى العالم،

فقد كان لعمله ذلك الأثر التكويني على ما يعرف بالدراسات ما بعد الاستعمارية في الأدب والانثروبولوجيا والتاريخ والدراسات الثقافية وتاريخ الفن...إلخ (غُها، ٢٠١٩، صفحة ٧).

دفع ما سبق المؤرخ الهادي التيمومي إلى القول في مقدمة كتابه مدارس الكتابة التاريخية الحديثة "**لقد اكتسب علم التاريخ مكانةً لأول مرة بين العلوم في القرن التاسع عشر، لكن وضعية هذا العلم تنطوي على إشكالية محرجة فاذا ما بلور المؤرخ افكاراً أو نحت مفاهيم فهو يتصرف وكأنه فيلسوف، وإذا ما أخرج للناس سرديات كبرى، فهو يتصرف وكأنه أديب، وإذا ما قام بتشريح وقائع اجتماعية، فهو يتصرف وكأنه عالم اجتماع، وإذ ما وصف أحداثاً حقيقية فهو يتصرف وكأنه صحفي، وإذ ما صاغ تراجم لشخصيات كبيرة فهو يتصرف وكأنه عالم نفس، وإذا ما عالج معطيات رقمية، فهو يتصرف وكأنه احصائي، وإذا ما درس السكان فانه يتصرف وكأنه ديمغرافي... والواضح أن حدود القارة التاريخية ليست واضحة إلا أن يكون التاريخ علماً امبريالياً أو غولاً يريد التهام كل شيء**" (التيمومي، ٢٠١٣، صفحة ١٦). وهو ما ذهب إليه المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون بالقول: "**بما أن التاريخ ليس علماً، بل مركب من علوم مختلفة، فإن مبدأه يختلف بين جيل وجيل بحكم الضرورة، وتتضمن فلسفته الحاضرة، بفضل مبتكرات العلوم، بعض المبادئ الجوهرية في تطور العالم وطبيعة الانسان**" (لوبون، ٢٠١٨، صفحة ١٦).

يمكن النظر إلى الموضوع من زاوية أخرى على الرغم من كل ما سبق، إذ بعد ظهور وتنوع العلوم الاجتماعية وتنوع فروعها وقدرتها على التجريب من خلال أساليبها وطرائق بحثها عزز من أزمة التاريخ في عالم ما بعد الحداثة، وهو ما وصفه المؤرخ محمد حبيدة بالقول: "**إن الافراط في التلاقح مع العلوم الاجتماعية من شأنه أن يمحي من الساحة المؤرخين بالمعنى الصرف للكلمة بحيث لا يبقى سوى أنثروبولوجي أو اقتصادي الماضي...ما ناضل من أجله المؤرخون السابقون وفي مقدمتهم مؤرخو الحوليات وفي مقدمتهم مارك بلوك ولوسيان فيفر وفيرنان بروديل من اجل تحطيم الحواجز بين التخصصات، انقلب على المؤرخين في نهاية المطاف**" (حبيده، ٢٠١٩، صفحة ١١٦).

أضف إلى ذلك محاولات الفلاسفة في القول بان فلسفة التاريخ هي حكراً على الفلاسفة، وليس من حق المؤرخين تناول موضوعات فلسفة التاريخ أو أنهم عاجزين عن التفلسف متناسين أن الموضوع بالنسبة للمؤرخين ذات أهمية كبرى من زاوية الانتماء للمهنة أي فلسفة علم كما يتفلسف المتخصصون في العلوم الأخرى في حدود علمهم ومنهجه متناسين أن التاريخ هو علم الوصول إلى الحقيقة أو الحقائق الجزئية في حين أن الفلسفة تبحث عن الحقيقة في مفهومها التأملي المطلق التي تعتمد على الحقائق الجزئية التي يتوصل إليها المؤرخون، والتي تمثل المادة التي تعتمد عليها أيديولوجية الفيلسوف؛ لأن الفلسفة هي

أيديولوجية وفراغ والمادة هي التاريخ فهل من الممكن تفسير الأيديولوجية بالأيديولوجية أو الفراغ بالفراغ أم تفسير المادة أي التاريخ الذي ينتجه المؤرخون من خلال منهجيتهم وتحليلاتهم وفلسفتهم التحليلية النقدية لتكون مادة صالحة لتأملات الفلاسفة ورؤيتهم لحركة الكون، وبهذا الصدد يتساءل الهادي التيمومي قائلاً: "**أليست كل المناهج والتقنيات التي يعتمدها المؤرخ شرطاً ضروريا، لكنه غير كاف لبلوغ الحقيقة؟** أليس المؤرخ مثل البحار الذي يهتدي بالبوصلة، لكن البوصلة لا تكفي، ولابد له من حدس وذكاء، ليبلغ مراده، [ويضيف] فالذي اكتشف العالم الجديد هو كريستوف كولمبس، وليس البوصلة على الرغم من أنها ساعدته، لذلك لابد من توفر العقلية أو الذهنية التي تمارس دوراً كبيراً فيما يتوصل إليه المؤرخون من نتائج في بحوثهم من خلال تحليل واستقراء ما يتوفر لديهم من مصادر ووثائق حول الموضوع قيد البحث والدراسة ملتزمين بالموضوعية والزمكانية، وهو ما يصعب من مهمتهم التي تمزج بين التجريب والتجريد مقارنة بمهمة الفيلسوف الذي يبحث عن العموميات والقواعد والقوانين العامة من خلال اسئلته الفلسفية وبأسلوبه التجريدي (التيمومي، ٢٠١٣) (حدجامي، ٢٠١٨).

خامساً: ظهور فلسفة التاريخ

لا يوجد اجماع بين المؤرخين عن بداية "**تفسير التاريخ**" أو "**فلسفة التاريخ**"، حتى مع وجود شبه اجماع على كون هيرودوت أبا التاريخ، يعترض المؤرخ محسن محمد حسين على ذلك قائلاً : "**إن هيرودوت ليس أباً للتاريخ لأن ما دونه يراعه ليس أكثر من انطباعات سائح لما شاهده في ضوء عقلية عصره**" أما ما فعله توكيديديس (٤٦٦-٣٩٥ ق.م)، كان شيئاً كبيراً إذ كان أول من حاول "**أن يكتب التاريخ بحيادية وموضوعية، حتى أثارت نزاهته حفيظة حكام زمانه المهزومين في معركة (بيلو بونيز) الشهيرة بين اسبارطه واثينا فتعرض للنفي لأنه تساءل أين النصر الذي تعلنه قياداتنا؟** والأهم من ذلك قوله: "**أرى وكأن التاريخ يعيد نفسه**" والتي يرى محسن بأنها "**صارت ايقونة المعنيين بعلم التاريخ تلك الكلمة السحرية التي باتت السؤال الذي يثيره التاريخ ويناقشه المؤرخون في مختلف العصور وربما كانت كلمات توكيديديس بداية ظهور ما صرنا نسميه تفسير التاريخ أو فلسفة التاريخ**" (حسين، ٢٠١٧، الصفحات ٦١-٦٢). وبهذا يرى بأن عبقرية هذا الرجل أوصلته وأوصلت الفكر إلى اكتشاف المنهجية في التاريخ، ومن ثم تفسير أحداثه، ولكن الأمر لم يكن بهذه السهولة ، فالكتابة التاريخية مرت بمراحل من المد والجزر، ولاتزال مستمرة في قبول ورفض هذه النظرية أو تلك بل هناك من يرفض اخضاع التاريخ للتفسير فصار هناك تفسير آخر خاص برفض التفسير، والواقع أن الحاجة إلى أعمال تفسيرية شاملة نشأت حينما صار الانسان يجد أن الوقوف عند سرد الأحداث وتسجيلها لم يعد كافياً لمعرفة ما

حصل بل لابد من رؤية معمقة لادراك طبيعة الأمور، فنشأة الحاجة إلى الفلسفة أو تفسير الوقائع وربطها لاكتشاف معنى الفعل الإنساني. فهناك من يجزم بأن كل ما حدث ويحدث في التاريخ يمكن رصده أو توقعه، إذا ما تمت مراقبة ومراعاة الظروف التي سبقته وأحاطت به. وهو ما يؤكد أحقيته بان يعد علماً، نعم إنه ليس علم تجربة واختبار الواقع. وإنما هو علم (نقد وتحقيق لوثائقه) التي دونت فيها أحداثه الماضية وتفسيرها، وكذلك فهو علم من حيث دراسته منهجياً، على ضوء قواعد اكتسبها بمرور الزمن، دفع الجدل المستمر حول علمية التاريخ بالعاملين فيه إلى تصنيفه ضمن المعرفة الفلسفية بعد أن مرت بالمعرفة الدينية اللاهوت ، والأدبية ، والعلمية، لكنه لم يستقر فيها رغم عدم الاتفاق على ذلك والواقع الذي صنف فيه التاريخ قد بدأ منذ عهود حتى وان لم يستعمل لفظ الفلسفة مقرون بالتاريخ، قبل فولتير الذي استخدم ذلك بقصد عرض الأحداث التاريخية عرضاً تحليلياً نقدياً أو علمياً أو بتعبير أدق كان هذا المفكر يقصد بفلسفة التاريخ نوعاً من التفكير ليتقيد فيه المؤرخ بمقاييس منطقية، بدلاً من الاعتماد على ما جاء في الكتب أو الاعتماد على عنصر الصدفة (حسين، طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، ٢٠١٢، الصفحات ١١-١٥).

ظهر مصطلح فلسفة التاريخ واستعمل لأول مرة في عصر التنوير في فرنسا خلال القرن الثامن عشر وأول من استخدمه عام ١٧٥٦ هو فرونسوا آرويه فولتير، في كتاب عنوانه (فلسفة التاريخ) وكرر الفكرة في كتاب آخر (مدخل في سلوك وطبائع الأمم وروحها)، وقصد بذلك حسب عبد الجبار ناجي "**التفكير بالتاريخ تفكيراً عقلياً**"، ففلسفة التاريخ عند فولتير تهدف إلى تنقيح الدراسات التاريخية وتعديلها ، فالتاريخ النقدي هو تحرير الفكر الإنساني من ما جاء في الكتب القديمة (ناجي، ٢٠٠٨، صفحة ٥٨)، ويضيف الملاح بأنه أراد أن ينبه المؤرخين على ضرورة استخدام منطق الفلسفة العقلاني في دراسة التاريخ من اجل نقد الروايات والأخبار التاريخية وتنقيتها مما دخل فيها من خرافات وأساطير وكل ما لا يتفق مع حكم العقل والواقع، (الملاح، ٢٠١٢، صفحة ٣) ووفقاً للملاح قد تكون فلسفة التاريخ وجدت لحاجة المؤرخين ليس الفلاسفة، لكن ذلك لا يعني أنها قد بدأت معه، فالتفلسف في التاريخ قد ظهر قبل ورود المصطلح بمدة طويلة، ولم يقتصر على ما قدمه الفلاسفة من رؤى ونظريات حول مسيرة الكون والتاريخ البشري منذ القدم، فقد كان عبد الرحمن بن خلدون فيلسوف التاريخ أول من أشار إلى أن التاريخ "**نظر وتحقيق وتعليل للكائنات وعلم بكيفيات الوقائع والأسباب**" وهذه العبارة تعبر بوضوح عن المعنى الحقيقي للتاريخ، وتشير إلى أن هناك قوانين وأسباب تتحكم في حركة التاريخ (طحطح، ٢٠١٨، صفحة ٨)، ذلك التعريف الذي عدّه مرتضى النقيب بأنه غاية في التطور بالنسبة لمفهوم التاريخ ، ويمثل تعبير حي عن ثنائية التاريخ كموضوع يدور حول أحداث الماضي وأخباره

كما نقول كيمياء أو فيزياء، والتأريخ وهو ما يمثل العلمية التي يضفيها المؤرخون على أعمالهم حينما يمارسون "**النظر والتحقيق والتعليل**" على تلك الأحداث والوقائع أي ما يقابل التفلسف في الجزئيات مع المحافظة على الموضوعية والزمكانية والالتزام بمنهج البحث التاريخي الصارم (النقيب، ١٩٩٩، الصفحات ٤-٥). أي على حد تعبير غوستاف لوبون "**تتألف فلسفة كل علم من مبادئه العامة، وإذا تحول هذا العلم تحولت فلسفته ايضاً**" (لوبون، ٢٠١٨، صفحة ١٣).

يعرف النقيب فلسفة التاريخ بأنها تعني "**النظر إلى الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية من أجل معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم بها**" وربما ينتهي هنا التعريف بالنسبة لعمل المؤرخين أو فلاسفة التاريخ عند النظر للموضوع من زاوية الاحتراف للمهنة، لكنه يضيف إلى تعريفه "**والعمل على استنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر القرون والأجيال**" ويرى أن تعريفه بما يحتويه من ثنائية ينطوي على مفهوم عام لفلسفة التاريخ ويميز بين فلسفة التاريخ التي تعني من الناحية المنهجية الفلسفة التحليلية للتاريخ أو الفلسفة النقدية للتاريخ وفقاً لعفت الشرقاوي ويحدد اهتمامها بدراسة وتحليل مناهج البحث التاريخي عند المؤرخ وأدواته العقلية من وجهة النظر الفلسفية من الممارسة النقدية إلى التحليل التاريخي وربما يشترك الفلاسفة مع المؤرخين في حالة قيامهم بدراسة ما أنجزه ذلك المؤرخ، لكن في إطار المنهج الفلسفي، أما ما يتعلق بالأمر من زاوية منهج البحث التاريخي فهو حكراً على المؤرخين دون غيرهم وهو ما طالب به النقيب من المؤرخين الالتفات إليه في مناقشة الرسائل والأطاريح الجامعية لتخصص التاريخ ودعا لجان المناقشة إلى المناقشة بفلسفة التاريخ، وتلك الدعوة ليست ببعيدة عن دعوة المؤرخ عبد العزيز الأمراني للمتخصصين بالكتابة التاريخية في عالمنا العربي قائلاً : "**يمارس المؤرخ العربي كتابة التاريخ وفقاً للنمط التقليدي القائم على سرد الوقائع وجمعها في مصنفات ومجلدات تظل في الغالب حبيسة الرفوف ونادراً ما تقرأ.. إن الكتابة التاريخية العربية ما تزال حبيسة الرؤية التقليدية للتاريخ موضوعاً ومنهجاً.. لقد آن الأوان ليخرج المؤرخون العرب من أبراجهم العاجية ويطلون على مشكلات الحاضر كمنطلق للبحث والتفكير في الماضي بغية المساهمة في إيجاد حلول لمشكلات الواقع العربي..[ويضيف] انها دعوة صريحة إلى المهتمين بالكتابة التاريخية في الوطن العربي لتجاوز التاريخ السردي، والعمل على تأسيس تاريخ نقدي/إشكالي يبحث في المشكلات الراهنة للمجتمع اعتماداً على مقاربة علمية ونقدية لا ترى في دراسة الماضي هدفاً لذاته بل مدخلاً لفهم الحاضر لإعادة بناء علاقة جديدة مع الزمن التاريخي**" (الأمراني، صفحة ١)، أما النوع الآخر وهو الفلسفة

التأملية للتاريخ التي تهتم بالنتائج التي يتوصل إليها المؤرخون كأساس لبناء صروح علمية وفكرية جديدة فهي ربما من واجبات الفيلسوف (النقيب، ١٩٩٩، الصفحات ٥٦-٥٧).

ويتفق خالد طحطح حول تلك الثنائية لفلسفة التاريخ في الدراسات التاريخية الحديثة التي تشير إلى معنيين اثنين من جوانب دراسة التاريخ، المعنى الأول "**يجعل من فلسفة التاريخ دراسة لمناهج البحث من حيث الطرق المستعملة في الكتابة التاريخية، ونوعية الوثائق المعتمدة وكيفية التحقق من الأخبار، ومدى الموضوعية والحياد في تحليل الأحداث**" أما المعنى الثاني فيرى بأنه الأكثر أهمية وانتشاراً، فهو "**تقديم وجهة نظر عن المسار التاريخي ككل...واكتشاف القوانين المتحكمة في ذلك...وامكانية التنبؤ بسير المستقبل البشري**" (طحطح، ٢٠١٨، صفحة ٨)، تلك الثنائية التي يختصرها يحيى الملاح بـ"**الكلية** و"**العلية**". (الملاح، ٢٠١٢، صفحة ٧) ويبدو أن الرؤى أعلاه هي الأكثر انتشاراً ؛ لأن فلسفة التاريخ لم تعد حكراً على الفلاسفة والمؤرخين دون غيرهم من المتخصصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى.

سادساً: فوائد فلسفة التاريخ:

يلخص الدكتور محسن فوائد فلسفة التاريخ لكل من التاريخ والفلسفة بـ أربعة فوائد الأولى: إن فلسفة التاريخ ترمي إلى ردم الهوة ومعالجة القصور في مباحث التاريخ ؛ لان التاريخ يسرف في الاغراق في وصف أحداث الماضي. والثانية : إن فلسفة التاريخ تعوض نقصاً في الفلسفة يتمثل في القلق الدائم الذي يعاني منه رجال الفلسفة رغبة منهم بالوصول إلى الحقيقة، لذا يتلمس فلاسفة التاريخ العون من واقعية التاريخ كونهم غارقون في عالم المجردات. والثالثة: إن العلاقة بين الفلسفة والتاريخ علاقة شد وجذب إذ إن التاريخ يشد الفلسفة حتى لا تحلق بعيداً والفلسفة ترتفع بالتاريخ حتى لا يغوص في الماضي بإسراف، وبتعبير آخر التاريخ يلتمس من الفلسفة الحكمة والمغزى بينما الفلسفة تلتمس من التاريخ الواقعية، وهكذا نجد أن الفلسفة والتاريخ يكمل بعضهما الآخر في حين (يرى الفيلسوف المغربي عادل حدجامي بأنهما متناقضان لكننا نعتقد بان التناقض يحدث بينهما حينما يتدخل أحدهما في عمل الآخر، وحينما يبالغ المؤرخون ويسرفون في وصف الماضي ويبالغ الفلاسفة في تجريدهم) أما الرابعة: تلبي فلسفة التاريخ للإنسان عموماً حاجة عملية بمنحه الإحساس بالطمأنينة قدر المستطاع فكلما انتاب الانسان جزع لجأ إلى الماضي يستوحيه ليقوي من عزيمته إذ إن عصور الكوارث والويلات تبعث إلى التفكير في الماضي والمصير (كما في جائحة كورونا) (حسين، ٢٠١٧، الصفحات ١٦٢-١٦٣).

اما عن الفوائد التي يمكن أن يجنيها الباحث في التاريخ من تفسير التاريخ فهي: تحليل الوقائع والأحداث وتفسيرها وربطها، وإشكالية الموضوع وطريقة معالجتها بما يتوفر لديه من مصادر، ومعالجة الثغرات التي تسكت عنها الوثائق والمصادر، التفكير في علل المحن وأسباب الهزائم والقلق والتفكير في مشاكل المستقبل على الرغم من أن التاريخ في سيرورته يستبعد المستقبل من اهتماماته، لكنه يرتبط به عن طريق الحاضر ارتباطاً عضوياً عن طريق فلسفة التاريخ إذ لا يمكن للتاريخ أن يصل إلى مرتبة الوعي الفلسفي دون ما يسمى بالاستشراف كعملية ذهنية سواء كان الاستشراف عكسي أي استشراف الماضي أو النظر إلى أحداث الماضي بوعي وهو أبرز ما يميز كتابات المؤرخين المحترفين كأن يكتب أحدهم عن نشأة وتطور الحضارة الإسلامية، وهناك أمثلة كثيرة عن هذا النوع من الكتابات إذ لا تكاد تخلو كتابات مؤرخ من الفحول عن الكتابة من هذا النوع، ومنها على سبيل المثال كتاب فرنان برودل الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر الذي يقع في ثلاثة مجلدات (برودل، ٢٠١٣) أو كتاب ول جيمس ديورانت الحضارة الإسلامية النشأة والنهوض (ديورانت، ٢٠١٨). وهو على العكس من استشراف المستقبل الذي يقع خارج اهتمامات المؤرخ منهجياً ككتاب فرانسيس فوكوياما نهاية التاريخ والانسان الأخير على سبيل المثال (فوكوياما، ١٩٩٣)، وتكوين نظرة شمولية للتاريخ البشري على الرغم من أنه، كذلك ليس من واجبات المؤرخ إلا أن معالجة الأحداث التاريخية بصورة جزئية كما هو الحال في الدراسات التاريخية التقليدية ليساعد الباحث على تكوين نظرة شمولية جامعة، لأنه كل ما كان التاريخ العالمي أكثر شمولاً سيكون حتماً أكثر وضوحاً وفهماً ، وبذلك تتصبح فلسفة التاريخ منهجاً ومصدراً مهماً لدراسة التاريخ في عملية تغذية راجعة وبهذا المجال يرى الدكتور محسن بأنه "**بعد أن كانت موارد التاريخ المتنوعة مصدراً لدراسته، ومن ثم لدراسة فلسفة التاريخ كذلك صار بوسع فلسفته حسب بعض النظريات الحديثة أن تساعد التاريخ لمعرفة جوانب من طبيعة المراحل التي مرّ بها الجنس البشري التي لم نعد نعرف عنها شيئاً إلا القليل من المعلومات ، فصارت فلسفة التاريخ تعمل لإعادة تركيب تاريخ عصور تاريخية مجهولة ويضيف بأن ذلك التحليل ذهب إليه ماركس، وكذلك شبنكلر الذي سمى هذا المنهج بمنهج التعاصر الفلسفي وإذا آمنا بهذا المنهج ستكون له أهمية خطيرة في البحوث التاريخية، إذ نستطيع بهذا المنهج أن نتبين الآفاق الواسعة التي سيفتحها أمامنا تطبيقه، ونتائج بعيدة الأثر لو أننا تضمناه ووضعنا له القواعد والشروط**" (حسين، ٢٠١٧، الصفحات ١٦٤-١٦٦).

أما عبد الجبار ناجي ، فيرى بان مما لا ريب فيه ان من أعظم النتائج التي أفرزتها الحقبة التي ظهر فيها مصطلح فلسفة التاريخ حتى الآن والتي حققت مجموعة من الأهداف لدراسة التاريخ منها جدية التوجه نحو الدراسات المقارنة في التاريخ وصولا الى الحقائق التاريخية قدر الإمكان، وذلك بإدخال عناصر التحليل والجدل الفلسفي؛ والتوجه نحو الدراسات الحضارية ومعانقة العلوم الأخرى كالاجتماع والانثروبولوجيا...إلخ؛ والتفكير الجدي بالمراحل التي تمر بها الدول والحضارات وعوامل وأسباب ظهورها واضمحلالها. وفاعلية دور الفرد في الأحداث التاريخية والعلل المحركة لهذا الفعل التاريخي من خلال المنهج الفلسفي الجدلي. والتفكير الجدي بالأحداث التاريخية ودور الانسان في صنعها بروح مستقلة بمعزل عن قوى الطبيعة التي يخضع لها الكون أو بمعزل القوة الله عز وجل وارادته. ومدى قدرة القواعد والقوانين العامة في تفسير التاريخ. وإخضاع حوادث التاريخ للتحليل والتفسير العقلي. (ناجي، ٢٠٠٨، الصفحات ١٤٢-١٤٣).

سابعاً: رؤية المؤرخين للتاريخ وفلسفته من زاوية الارتباط بالمهنة:

إن كلاً من المؤرخ والفيلسوف التاريخي يبديان اهتمامهما في موضوع واحد، لكن كل حسب زاويته، إذ يظل التاريخ حياً بأحداثه ووقائعه الجزئية معروفاً بها مع كل الرؤى التي تعبر عن انطوائية التاريخ والكتابة التاريخية، وللفلاسفة تأملاتهم وأسئلتهم الفلسفية التي يطبقونها على المادة أي التاريخ من أجل التوصل إلى نتائج ورؤى فكرية حول مسيرة التاريخ البشري ومستقبله من خلال استنباط العموميات. إذ يبحث الفيلسوف عن الحقيقة المجردة أما المؤرخ ، فهو مهما استسلم إلى إغراءات الكتابة الأدبية والفنية إلا أنه يبقى مقيداً بأسوار الحقيقة التي لا يستطيع الحياد عنها. ولكن يبقى السؤال **هل التاريخ علم وكيف يمكن اثبات علميته ومن أي العلوم هو؟** وهذا الأمر ربما لا يشغل الفلاسفة، لكنه كان ولازال الشغل الشاغل للمؤرخين الذين يهدفون من دراسة فلسفة التاريخ تحليل معنى التاريخ ومفهومه وطبيعة المعرفة التاريخية، ومن هنا يقترب التاريخ من الفلسفة في التحليل والاستنباط والنقد في معالجة قضايا التاريخ واستنباط الأحكام والقوانين العامة والثابتة في متناول عدد من الموضوعات التاريخية وطريقة معالجة أحداثها.

إذا كانت الفلسفة هي المنطقة الوسط بين اللاهوت والعلم فهي تشبه الأول لأنها تقوم على أساس من التأملات في موضوعات لم تبلغ حد اليقين، (وهي صفة يتصف بها التاريخ)، وتشبه العلم لأنها تخاطب العقل أكثر مما تستند إلى الجزم في المسائل الاعتقادية، وهذا ما يحاوله التاريخ أيضا. لذلك يرى بندتو كروتشه الفيلسوف الإيطالي "**بأن المؤرخ ينبغي أن لا يكتفي بمؤهلاته الكتابية والمنهجية بل عليه أن يناقش الأسس العلمية التي يستند إليها تفسيره أي يجب عليه أن لا يكون مؤرخاً فقط بل فيلسوف أيضاً**"، وقال

كروتشه "**بأن الفلسفة يجب أن لا يكتبها إلا المؤرخون**" كمحاولة للقول بأنهم أكثر الناس الماماً بحكاية الإنسانية على الأرض، وهو ما يعني أنهم أكثر قدرة على فهمها ويخلص كروتشه "**إن كل من يحمل لقب مؤرخ فهو فيلسوف سواء أراد ذلك ام لم يرده**"، وربما هو لم يقصد التقريب بين المؤرخ والفيلسوف من حيث القدرة العقلية والنظرة الشاملة للأمور والأحداث والنظر إلى المستقبل بل كان يقصد كذلك أن كل مؤرخ يعبر عن ذاته من خلال تاريخه (النشار، ٢٠١٢، صفحة ٢٩)، والمعيار في هذا الأمر بالنسبة للمؤرخين مقارنة بالفلاسفة هي الموضوعية التي هي صفة ومعيار لنتاجات المؤرخين ترفع البعض منهم وتجعلهم من الثقات وتسفه جهود البعض الآخر لابتعادهم عنها بسبب انتماءاتهم أو انفعالاتهم الشخصية أو نوع العقلية التي يحملونها.

يبحث المؤرخ والفيلسوف كلاهما عن الحقيقة ، فالأول في حقيقة الأحداث التي جرت محددة بزمان ومكان، والآخر بمفهومها المطلق والاثنين يدخل بمنهجهما الشك الفيلسوف يبحث عن حقائق وقواعد وقوانين ثابته تحكم حركة الكون ومصير الانسانية، والمؤرخ في فلسفة التاريخ يبحث عن تفسير الأحداث والوقائع بصيغتها الجزئية، وقوانين وقواعد عامة وثابتة تحكم مسيرة التاريخ البشري قدر تعلق الأمر بتفسير الأحداث وربطها وتتبع جذورها لذلك ، فالمؤرخ ينظر إلى الموضوع من زاوية الاحتراف للمهنة. فإذا كان الحدث هو مادة التاريخ منذ أن وطأة أقدام الانسان الأرض وصياغة تلك الأحداث وتفسيرها، لاسيّما القديمة منها يجب أن يكون بأسلوب فلسفي، وهو ما يعني أن التاريخ مادة الفلسفة، وهو لا يتعارض مع فكرة أن الفلسفة هي أم العلوم؛ لأن العلوم جميعها تبدأ بالتفلسف وبعد أن تصوغ الفلسفة قوانين لها تتحول إلى علوم قائمة بذاتها وهو ما لا يصح مع التاريخ إلى الوقت الحالي ، لأن الفلاسفة لم يتفقوا إلى الآن على قرينة تحكم حركة التاريخ ونشوء الحضارات واضمحلال دورها أو انهيارها، حتى بعد تشبيهها بحياة الكائن الحي. لذلك إذا عرّفنا الفلسفة بأنها محاولة جادة لمعرفة الحقيقة أو التحري عنها، والسؤال أي حقيقة هل حقيقة الظواهر الطبيعية وحركة الأشياء التي من حول الانسان وخارج مداركه أو عن ماهية الانسان ومصيره والواقع أن محاولة الانسان للوصول إلى الحقيقة هو علم بحد ذاته .

يبقى السؤال الذي أصبح شائعاً في العالم المعاصر والمحرج بالنسبة للمؤرخين **ما أهمية دراسة التاريخ وهل هو أحد أسباب تخلف المجتمعات؟** لأنه يثير النزاعات ويجعل الناس لا يرنون إلى الأمام، بل يهتمون بماضيهم أكثر مما يخططون للمستقبل وتطرف البعض لدرجة المطالبة بحذفه من المناهج الدراسية. ربما من الأفضل الإجابة على التساؤلات أعلاه بأخرى مفتوحة، **ماذا لو حذف التاريخ والمعرفة التاريخية من حياة البشرية؟ كيف لنا أن نتصور**

حياة البشرية؟ وهل ذنب التاريخ والمعرفة التاريخية أن هناك مجتمعات يوظفها التاريخ بدل أن توظفه؟

يرى محسن محمد "**إنه لابد من القول بأن التاريخ عرف بأنه وعاء الخبرة البشرية، والعلم الخاص بجهود الانسان التي بذلت عبر الأزمان السابقة، أو هو المحاولة التي تستهدف الإجابة عن الأسئلة التي تتعلق بتلك الجهود في الماضي، فالتاريخ يتناول طوايا حياة أبنائه وأفكارهم، ومدى ارتباط تلك الأفكار بمعيشتهم، ثم علاقة تلك الحياة والأفكار بسيرة الانسان في الأرض وجهوده المتواصلة لرفع شأنه في سلم الحضارة اقتصادياً وعلمياً فكرياً، ومدى ارتباط ماضي المجتمعات والأمم بحاضرها، وحاضرها بمستقبلها**". وينقل عن كولنجوود قوله: إن معنى التاريخ يكمن في أن الماضي الذي يبحث فيه المؤرخ ليس ماضٍ ميت، لكنه ماض بمعنى ما مازال يحيا في الحاضر أو "**التاريخ هو سجل للتقدم البشري، ولتكامل المعرفة وازدياد الحكمة**". أو وفقاً لكروتشه "**كل تاريخ حقيقي هو تاريخ معاصر فالحياة وحدة متكاملة والمواقف المتخذة في الماضي تؤثر وتتأثر بمعتقدات الحاضر وآمال المستقبل**". ويتساءل من أي نوع من أنواع المعارف هو التاريخ؟ هل هو ضمن المعارف الميتافيزيقية (الغيبية ، الدينية)؟ أم هو فن من الفنون الكتابية، أم هو علم بين العلوم؟ أم هو ضمن الفلسفة؟ فهل يصح أن تكون هناك معارف غير المعارف المذكورة؟ ويجيب محسن محمد " **نعم فهو خارج المعارف المذكورة فلو كان التاريخ ضمن إحدى تلك المعارف لحسم الأمر وانتهى التساؤل الذي أثير منذ أربعة وعشرين قرناً. أي منذ كتبت حوادث التاريخ بشكل منتظم. وجعلتهم يتسائلون عن طبيعة تلك الحوادث**" (حسين، طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ، ٢٠١٢، الصفحات ٢١-٣٠). والسؤال المهم هل تكفي إجابة الدكتور محسن محمد؟ أم أن الأمر مازال وسيبقى مفتوحاً وهو الأرجح.

ثامناً: الخلاصة

- يدرس المؤرخون فلسفة التاريخ في الأقسام الأكاديمية لمنح دراسة التاريخ والتخصص فيه بعداً فكرياً يساعد المؤرخ المبتدأ في فهم الأحداث وتفسيرها، ومنحه ملكة نقدية لتفسير التاريخ والمعرفة التاريخية ومدارس الكتابة وعملية معالجة الإشكاليات التي يطرحها المؤرخون في كتاباتهم الأكاديمية وتفسيرها وفقاً للرؤية المنهجية التاريخية، ولدراسة أنواع تفسير التاريخ كالتفسير الديني والمثالي والمادية التاريخية...إلخ، ونظريات الفلاسفة في هذا المجال أي قدر تعلق الأمر بالفكر التاريخي لدى الفلاسفة هيغل وماركس...إلخ وآرائهم في حركة التاريخ ونشوء الحضارات، ومن اجل تسهيل عملية تفسير التاريخ وتحليل الأحداث التاريخية، وذلك ما توضحه نتاجات المؤرخين في مجال فلسفة التاريخ واسهاماتهم في

اغناء هذا الحقل المعرفي، لذلك تعد مادة فلسفة التاريخ أهم مادة علمية لترصين الفكر التاريخي والمعرفة التاريخية لدى المؤرخين، التي يجب انعكاسها على نتاجاتهم العلمية.

- إن رؤية المؤرخين لفلسفة التاريخ من زاوية مختلفة عن رؤية الفلاسفة؛ فالأمر بالنسبة للمؤرخ يتعلق بالمعرفة التاريخية والنظر من زاوية الانتماء للمهنة دون الدخول بالمفهوم المطلق للفلسفة لأنه واجب الفلاسفة. وإذا عرفنا الفلسفة بأنها "**البحث عن الحقيقة**" يتبادر السؤال هل الحقيقة المطلقة أم الحقيقة بمعنى العلم إذا كانت بمعنى العلم فهو يعني أن الفلسفة هي العلم الجامع أو علم العلوم، وهو يعني أن العُلوم جميعها ولدت من الفلسفة أي إذا صارت القضايا المختلف حولها حقيقة ثابته، ولها مجموعة حقائق وقوانين تحكمها خرجت من نطاق الفلسفة ودخلت في نطاق العلم، وهكذا كما اسلفنا انفصلت العلوم عن الفلسفة، وأصبح لكل علم فلسفته الخاصة يعبر عنها المتخصصون في هذا العلم أو ذاك، ومن هنا جاءت الدكتوراه في فلسفة التاريخ أو الاجتماع ... إلخ.
- إن فلسفة التاريخ هي المعرفة التي يهتدي بها المؤرخون للكشف عن حقيقة التاريخ وجاءت الحاجة إليها للإجابة عن السؤال **ماذا حصل ولماذا وكيف؟** ومن هنا سعى المؤرخون إلى اعتماد فلسفة التاريخ في أعمالهم والتركيز على تدريسها للمؤرخ المبتدئ كي لا تصبح دراسة التاريخ أكواماً من المعارك المعاهدات السياسية والأحداث المتسلسلة دون منح هذه الحوادث أبعادها الحقيقية وتعليلها، ومن ثم فأنهم استهدفوا تحويل الدراسة التاريخية من التاريخ السياسي والعسكري إلى فلسفة الحضارة، ومهمتها الأساسية أن تكون دراسة التاريخ أهم من سرد أخبار الملوك وسير الحكام إلى تتبع سير العقل البشري، وتتبع العلل التي تواجه مظهر النشاط الإنساني؛ وخلاصة القول إن للتاريخ نكهة خاصة وللحادثة التاريخية رونقها الخاص بالحفاظ على الموضوعية، لكن لا حياد عن الذات أو الفروض العقلية التي تزيد الحدث التاريخي رونقاً ووضوحاً ونفعاً، كما ذهب عبد الجبار ناجي.
- التاريخ : هو ما يرسمه المؤرخون بروح الحاضر ورؤيته للماضي، لذلك فالتاريخ هو نتاج ذهنية المؤرخين بروح حاضرهم وحاجته وكلما تغير وتطور هذا الحاضر ظهرت رؤى جديدة لأحداث التاريخ وأعيد النظر بكتابتها، لذلك يمكن القول بأن التاريخ كله تاريخ معاصر.
- يعتقد الغالبية العظمى المؤرخين بأن فلسفة التاريخ هي ترف فكري ليس إلا وتبعد التاريخ عن الموضوعية، لكنها في واقع الحال تقع في صميم عمل المؤرخ ، وتعد بمثابة الروح التي يبثها المؤرخ بالمادة الميتة وغير ذات جدوى في بعض الأحيان، وهي أحداث التاريخ من زاوية ارتباطها بالماضي فقط.

- إن استدامة علم التاريخ توجب الاهتمام بالجانب المعرفي في "المناهج الدراسية لأقسام التاريخ" أي التركيز على نشأة علم التاريخ وتطوره ومفهومه وطرق تفسيره وطبيعة المعرفة التاريخية. بدفاعنا عن أهمية علم التاريخ ربما من أهم الأمور التي تتبادر إلى ذهننا "القول بأن واحدة من أبرز صفات العلوم هي التراكمية لذلك ، فالتاريخ هو من حفظ للعلوم مكتشفاتها واختراعاتها أو نظرياتها عبر الزمن" والسؤال: هل جرى تطبيق ذلك على علم التاريخ؟ وهل هناك من سعى إلى تدريس نشأة وتطور علم التأريخ والمعرفة التاريخية؟ وكأن المناهج التي ورثناها مسلمات يجب عدم المساس بها ؟ هل تصح الإجابة بأن السبب في ذلك أن المناهج أصبحت "قديمة" منذ نشأة منهج البحث التاريخي في أوربا، وحينها لم تكن هناك مدارس للكتابة التاريخية أو أن الكتابة التاريخية لم تكن تعي ذاتها. وربما وأصبحت لا تلبي متطلبات عالم ما بعد الحداثة.
- يجب أن تكون هناك بداية أو نقطة شروع مبنية على الإيمان بأهمية التاريخ وعلميته، من أجل الوصول إلى نتائج علمية تقوم على التغيير أو التحديث وتبني نظام فكري مستقل (مدرسة تاريخية)، وهو ما يتطلب أن يكون المتصدي على دراية ووعي تام ويستند في طرحه على أرضية علمية، وهذه الأخيرة لا توفرها أقسام التاريخ في عالمنا العربي.

مصادر البحث:

- عادل حدجامي. (١ ٩، ٢٠١٨). يوتيوب / الدكتور عادل حدجامي. تم الاسترداد من هيغل الفلسفة والتاريخ / المحاضرة الأولى: https://www.youtube.com/results?search_query=%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE+%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D9%84+%D8%AD%D8%A+F%D8%AC%D8%A7%D9%85%D9%8A
- مرتضى حسن النقيب. (١٩٩٩). المؤرخ المبتدئ ومنهج البحث التاريخي. بغداد: كلية الآداب.
- فرنان برودل. (٢٠١٣). الحضارة المادية والاقتصاد والرأسمالية من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر. القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- ول جيمس ديورانت. (٢٠١٨). الحضارة الإسلامية: النشئة والنهوض. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- فرانسيس فوكوياما. (١٩٩٣). نهاية التاريخ والانسان الأخير. بيروت: مركز الإنماء القومي.
- مصطفى حسن النشار. (٢٠١٢). فلسفة التاريخ: معناها ونشأتها وأهم مذاهبها. عمان: دار الميسرة للنشر والتوزيع.
- هاشم يحيى الملاح. (٢٠١٢). المفصل في فلسفة التاريخ. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- خالد طحطح. (٢٠١٨). في فلسفة التاريخ. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- الهادي التيمومي. (٢٠١٣). المدارس التاريخية الحديثة. بيروت: دار التنوير.
- جاك لوغوف. (٢٠١٨). هل يجب حقاً تقطيع التاريخ شرائح؟ المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار.
- عبد الجبار ناجي. (٢٠٠٨). فلسفة التاريخ والنهاية الحتمية للحضارة والدولة. بغداد: الحضارية للطباعة والنشر.
- عبد الله العروي. (٢٠٠٥). مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب. الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- غوستاف لوبون. (٢٠١٨). فلسفة التاريخ: الأسس العلمية لفلسفة التاريخ. عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
- محمد حبيده. (٢٠١٩). المدارس التاريخية برلين - السوربون - استراسبورغ. الرباط: دار الأمان.

- نايجل واربرتون. (٢٠١٩). مختصر تاريخ الفلسفة. بغداد: دار الكتب العلمية .
- القرآن الكريم. (٢٠١٤). دمشق: الفرقان.
- راناجيت غُها. (٢٠١٩). التاريخ عند نهاية التاريخ العالمي ومقالات أُخرى. تأليف بارثا تشارجي، تقديم (ثائر ديب، المترجمون). المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار.
- مؤسسة السبطين العالمية. (١٢ ديسمبر، ٢٠٠٧). هل الانسان مسير أم مخير. تم الاسترداد من مؤسسة السبطين العالمية: https://www.sibtayn.com/ar/index.php?option=com_content&view=article&id catid=60&Itemid=954&؟مخير-أم-مسير-الإنسان-هل:=414
- عبد العزيز العلوي الأمراني. (بلا تاريخ). من تاريخ السرد إلى تاريخ النقد. تم الاسترداد من aljabriabed: https://www.aljabriabed.net/n84_01amrani.htm
- محسن محمد حسين. (٢٠١٧). الحضارة وفلسفة التاريخ. تأليف سعدون هليل (المحرر). بغداد، العراق: دار الجواهري.
- محسن محمد حسين. (٢٠١٢). طبيعة المعرفة التاريخية وفلسفة التاريخ. أربيل: مؤسسة موكرياني.

References:

- Adel Hadjamy. (1 9, 2018). YouTube / Dr. Adel Hadjamy. Retrieved from Hegel's Philosophy and History / First Lecture: https://www.youtube.com/results?search_query=%D9%81%D9%84%D8%B3%D9%81%D8%A9+%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE+%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D9%84+%D8%AD%D8%AF%D8%AC%D8%A7%D9%85%D9%8A
- Mortada Hassan Al-Naqib. (1999). The novice historian and the method of historical research. Baghdad: College of Arts.
- Fernan Braudel. (2013). Material Civilization, Economy and Capitalism from the Fifteenth Century to the Eighteenth Century. Cairo: The National Center for Translation.
- Will James Durant. (2018). Islamic Civilization: Origin and Advancement. Amman: Al Ahlia for Publishing and Distribution.
- Francis Fukuyama. (1993). The end of history and the last man. Beirut: National Development Center.
- Mustafa Hassan Nashar. (2012). Philosophy of history: its meaning, origin and most important doctrines. Amman: Dar Al-Maysara for publishing and distribution.
- Hashem Yahya Al-Mallah. (2012). Detailed in the philosophy of history. Beirut, Lebanon: Scientific Books House.
- Khaled Tatah. (2018). In the philosophy of history. Cairo: Vision for Publishing and Distribution.
- Al-Hadi Al-Taymoumi. (2013). Modern historical schools. Beirut: Dar Al-Tanweer.
- Jack Logoff. (2018). Does history really have to be sliced? Manama: Bahrain Authority for Culture and Antiquities.
- Abdul-Jabbar Naji. (2008). The philosophy of history and the inevitable end of civilization and the state. Baghdad: Civilization for Printing and Publishing.
- Abdullah Laroui. (2005). Concept of history terms and doctrines. Casablanca, Morocco: Arab Cultural Center.
- Gustave Le Bon. (2018). The philosophy of history: the scientific foundations of the philosophy of history. Amman: Al Ahlia for Publishing and Distribution.
- Muhammad Habeeda. (2019). Historical Schools Berlin - Sorbonne - Strasbourg. Rabat: Dar Al-Aman.

- Nigel Warburton. (2019). Brief history of philosophy. Baghdad: House of Scientific Books.
- The Holy Quran. (2014). Damascus: Al-Furqan.
- Ranajit Guha. (2019). History at the end of world history and other articles. Written by Partha Charjee, presented by Thaer Dib, translators. Manama: Bahrain Authority for Culture and Antiquities.
- Al-Sabtain International Corporation. (December 12, 2007). Is a man free to choose or obligated. Retrieved from Al-Sibtayn International: https://www.sibtayn.com/ar/index.php?option=com_content&view=article&id=414:Is-al-Man-Masir-Or-Chair?&catid=60&Itemid=954
- Abdul Aziz Al-Alawi Al-Amrani. (No date). From the history of the narrative to the history of criticism. Retrieved from aljabriabed: https://www.aljabriabed.net/n84_01amrani.htm
- Mohsin Muhammed Hussain. (2017). Civilization and Philosophy of History. Written by Saadoun Hillel (Editor). Baghdad, Iraq: Al-Jawahiri House.
- Mohsin Muhammed Hussain. (2012). The nature of historical knowledge and the philosophy of history. Erbil: Mokhryani Foundation.